فضائل التسبيح

يعتقد كثير من الناس أن العبادة لله رب العالمين تتمثل فيما اقتصر عليهم من صلاة وصيام وزكاة وحج غير أن العبادة تتمثل في كل عمل فيه طاعة لله رب العالمين وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:"**ولا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى**- فالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير كلها ألوان من ألوان الذكر والعبادة المطلقة لله رب العالمين قال تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

والتسبيح معناه:

نفي النقائص عن الباري جل في علاه دلالة على أن الله منزه عن كل نقص وطالما أن الله قد استوجب الحمد على نعمه التي أكثر من أن تحصى أو تعد فقد استوجب أنه منزه عن كل نقص يستطيع الإنسان أن يتعبد لله في جميع أوقاته وأحواله حتى خارج مكان العبادة لله رب العالمين وقد جاءت صيغة الماضى كما في صدر سورتى الحديد والحشر وغيرهم قال جل شأنه في سورة الحديد:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [الحديد: ١].

وقال في سورة الحشر:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ} [الحشر: ١]، وصيغة المضارع جاءت في صدر سورتى الجمعة والتغابن

قال تعالى:{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الجمعة: ١]، وجاءت صيغة الأمر كما في صدر سورة الأعلى:{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾} [الأعلى: ١]، وفي سورة النصر:{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ} [النصر: ٣]، وقد جاءت سنة النبي صلى الله عليه وسلم موضحة لفضل التسبيح ففي الحديث الذي رواه من حديث أبي هريرة ☺ أنه قال:**"من سبح لله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر-.**

وللتسبيح فوائد عديدة منها:

- التسبيح نجاة من الأزمات والكربات وليس هناك أدل مما حدث لنبى الله يونس حينما دعى دعوة جمعت بين التوحيد والإقرار والاعتذار والتسبيح قال تعالى:{ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾} [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨] وكما أخبرنا أيضاً بقوله في سورة الصافات:{ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤].

- التسبيح نجاة من مرارة الصبر حيث ينشرح الصدر وقد جمع الله بين الصبر وضيق الصدر والتسبيح فقال:{ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} [الطور: ٤٨ - ٤٩] وأخبرنا أيضاً:{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } [الحجر: ٩٧ - ٩٩].

- التسبيح خير من ملك آل داود: ركب نبي الله سليمان البساط في ملك مهيب، أمر الريح أن تحمله، نعم الريح حيث هي والجن وغيرهما مما سخره الله قال تعالى:{فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾} [ص: ٣٦ - ٣٧]، فمر على فلاح في أرضه فنظر هذا الفلاح إلى هذا الموكب فقال: سبحان من أعطاكم هذا يا آل داود فعاد سليمان إليه بعد أن استمع لهذه المقولة منه عبر الرياح والهواء فقال الرجل لم أخطئ في شئ فقال نبى الله سليمان - وهو نبى ملك قال ربنا:{وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ} [النمل: ١٦] فكل منهما ملك نبي فقال للرجل: " ألم تعلم أن تسبيحة واحدة خير من ملك آل داود ".

- التسبيح غراس أهل الجنة: في ليلة الإسراء تم اللقاء بين الخليل إبراهيم والحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وإذ برسالة تأتى لأمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخليل إبراهيم يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرها بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن أرضها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وأنعم بها من وصية من الخليل عليه وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة وأتم السلام، واعلم أن الجمادات والحيوانات وسائر الكائنات تسبح بحمد الله وربما أضعف الكائنات يكون أفضل من الإنسان في ذكر الله حتى جاء الثناء من الله على كلب أهل الكهف فقال جل شأنه:{ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ } [الكهف:٢٢]، وقال أيضاً:{وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾} [الإسراء: ٤٤]، فالعاقل من الناس من اغتنم الطاعات وابتعد عن الموبقات.